ISSN: 2437-0827
DOI:5424/IJO/21547
مجلة دراســـات في علم اجتماع المنظمات
المجلد: 02 العدد: 15 السداسي الثاني 2020

مفهوم التنمية المستدامة وعلاقته بالتغير الاجتماعي على ضوء أهمية العنصر البشري
دراسة سسيو نفسية للعنصر البشري

The concept of sustainable development and its relationship to social change in light of the importance of the human element: Scio- Psychological study of the human factor

الباحثة: ريم نواري[1]

[1] **ريم نواري**، طالبة دكتوراه، جامعة الجزائر2 – ابو القاسم سعد الله، rimnouari80@gmail.com

تاريخ الإستقبال: **2020/05/23** تاريخ القبول: **2020/02/24** تاريخ النشر: **2021/02/27**

ملخص: يختلف التغير الاجتماعي باختلاف المجتمعات مكاناً وزماناً طبقاً لاختلاف الثقافة السائدة لأي مجتمع وطبقاً لاختلاف النظام السياسي والاجتماعي والثقافي، بل وحتى في المجتمع الواحد تكون هناك مستويات في عملية التغير وذلك لكون المجتمع يضم فئات مختلفة منها البدوي والريفي والحضري اضافة الى اختلاف الثقافة بين الأفراد، وهذا يؤدي إلى تفأوت مضطرب لتقبل التغير الذي يحدث داخل المجتمع.

كما يعتمد التغير على عدة عوامل أهمها الافراد (الفاعلين الاجتماعيين أو العناصر البشرية) كعامل أساسي من خلال الفعل الاجتماعي باعتباره نبض الحياة الاجتماعية الذي يؤدي إلى التغير الاجتماعي ومدى استجابته لمتطلبات الحياة الاجتماعية العصرية المتعددة والتي تخرج في أحيان كثيرة عن الإطار الثقافي العام للمجتمع أو الجماعة التي ننتمي إليها، وإلى أي مدى يستطيع الفعل الاجتماعي إعادة صياغة شخصية العنصر البشري في ظل التغير الاجتماعي بجميع انواعه ليكون أكثر خدمة وفعالية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، على اعتبار أن هذه التغيرات، تغيرات إنسانية وليست ميكانيكية جامدة.

الكلمات المفتاحية: التنمية المستدامة، التغير الاجتماعي، العنصر البشري.

Abstract:

Social change varies between societies, according to the culture of each society and also according to different political, social and cultural systems. In the same society there are several levels in the process of change, because the society includes different categories of Bedouins, rural and urban; in addition different cultures between individuals which lead to a fluctuating diversity to accept the change that occurs with in society.

Change also depends on several factors, the most important of which (are the social actors or the human elements) as a fundamental factor through the social action which is the heart of social life, which leads to change and the extent to which it meets the requirements of modern life which sometimes transcends the cultural framework of society of the community to which we belong, and to what extent social action can reshape the personality of the human element in the light of social changes of all sorts in order to be more effective in achieving the goals of sustainable development on the basis that these changes are human and not mechanical!

Keyword: Sustainable development; Social changes; the human element.

مقدمة

إن التغير خاصية مرتبطة بمفهوم التنمية المستدامة أو ما يطلق عليها بالتنمية المستمرة والمتواصلة التي تعتبر إن الانسان هو هدفها، وغايتها، ووسيلتها مع تأكيدها على التوازن بين البيئة بأبعادها المختلفة والمتنوعة وحرصها على تحقيق كل من تنمية الموارد البشرية والطبيعية دون أي اسراف أو تبذير ووفق استراتيجية حالية ومستقبلية محددة ومخططة بشكل جماعي وتعاوني وعلمي سليم وذلك لتلبية احتياجات الحاضر والمستقبل وعلى اساس من المشاركة المجتمعية مع الابقاء على الخصوصية الثقافية والحضارية لكل مجتمع.

لقد ارتبط مفهوم التنمية المستدامة بمفاهيم التنمية الاقتصادية وتنمية العنصر البشري (الفاعل الاجتماعي) كما نريد أن نسميه في هذه الدراسة، وكذلك تنمية رأس المال البشري وتنمية الموارد البشرية وتنمية المجتمع المحلي، وأن هذه الدراسة سوف تحاول إلقاء الضوء على ماهية التنمية المستدامة وذلك من خلال تعريفها، خصائصها ومبادئها، أبعادها ومجالاتها المتنوعة، وبالأخص التركيز على العنصر البشري باعتباره أساس عملية التنمية المستدامة ومحركها الرئيسي. ومع أن هذه الدراسة نظرية، لكنها تهدف بصورة مباشرة إلى الكشف عن أهم مقومات استمرارية عملية التنمية المستدامة لأجل تحقيق أهدافها ومشاريعها وهو العنصر البشري.

إن العنصر البشري (الإنسان) عبارة عن علاقات اجتماعية وهو نتاج أشكال اجتماعية معينة، وهو يتغير بفعل التأثير الذي يطرأ على العلاقات الاجتماعية، إلا أن هذه العلاقات والأنظمة الاجتماعية وأشكال التفاعل الاجتماعي تتغير بدورها بفعل النشاط الاجتماعي البشري. حيث "أن المجتمع كمية أو حجم معين من التفاعلات التي تجري بين أعضاءه وهو يتكون من جماعات ترتبط الأفراد من خلالها ببعضهم البعض بالإضافة إلى العلاقات التي تربط بين هذه الجماعات ذاتها ويتم تنظيم السلوك داخل الجماعات وبينها من خلال توقعات هذه الأخيرة التي تتطور بواسطة الآخر، فالناس من خلال التفاعل يتعلمون أن يتصرفوا بالطريقة التي يتوقعها الآخرين منهم"[1]، تبعا لهذا التعريف والتحديد المحكم للتفاعلية الرمزية يتم الاعتماد عليها في دراستنا لما تقدمه من تفسيرات لطبيعة العلاقات السائدة والهدف من هذه العلاقات أو التفاعلات في ضبط السلوكات في قوالب معينة تحدد التوازن بين النسق الثقافي والتواصل الاجتماعي، ترتبط التفاعلية الرمزية بـ George Herbert Mead، فهي بالنسبة له ليست نظرية في علم الاجتماع، بل هي نظرية في التنشئة الاجتماعية، وهي ركيزة فهم التفاعل الاجتماعي من خلال عملية الاتصال، بالإضافة إلى الاتصال الرمزي الذي يقوم على استخدام الأفكار واللغة ومن خلاله نستطيع تنظيم انطباعات الأفراد وفهمهم للعالم الخارجي الاجتماعي والطبيعي، وتطبيق ما اكتسبوه من مفاهيم

ذهنية في المواقف الجديدة التي تصادفهم، ومن هنا يؤكد ميد (Mead) على أنه من خلال عملية الاتصال تلك والتي تلازم الفرد منذ ميلاده ومن خلال مراحل نموه، يتولد لدى الفرد مفهوم الذات والأداء الفردي، فإن الفرد يخلق في المجتمع كل يوم من خلال تفاعله وأفعاله، بدلا من أن يكون مرتبط بقوى المجتمع وأنماطه فحسب.

وعليه يكون النظام الاجتماعي نتاج تفاعل الأفراد، ومن صنع أعضاء المجتمع وبذلك لا تكون المعاني الموضوعة للأشياء، مفروضة عليهم، وإنما هي بمثابة موضوع خاضع للتفاوض والتداول بين المتفاعلين في مواقف التفاعل الاجتماعي، وتعتبر نظرية التفاعلية الرمزية بأن العلاقة بين الفرد والمجتمع ليست علاقة حتمية، فإن كان الفرد مخلوق اجتماعي فأنه بذلك ينشأ من التفاعل بين معطياته الخاصة وبين الظروف الاجتماعية التي يبرمج فيها والتي يضيفها أيضا من خلال تفاعله مع الآخرين فالمجتمع إذن نتاج لعمليات التفاعل القائمة بين العديد من الأفراد والجماعات المتجانسة، والتي تدخل في علاقات متبادلة وتفاعل دائم ينتج عنه بالضرورة نتائج التنظيم الاجتماعي المختلفة التي قد تكون في خدمة عملية التنمية المستدامة. إذ أن الصراع أو التوتر أو القلق الثقافي والاجتماعي لا يولد بمحض الصدفة إنما تطورات فكرة المجتمع الجديد هي التي وضعت الإنسان موضع تساؤل أو تساؤلات عديدة ؟ ولا بد من الدراسة والبحث للإجابة عنها، فنحن بصدد هذه الدراسة نحاول الكشف عن مدى ارتباط التغير الاجتماعي بحالة العنصر البشري الاجتماعي من خلال المجتمع الجديد، بغض النظر عن كلا الطروحات النظرية التي قدمها زعماء علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، فان فكرة المجتمع الجديد من حيث الأيديولوجية والمذاهب الفلسفية المختلفة لا يمكن أن نفسر إرجاعها إلى موضع اجتماعي تاريخي فحسب. وذلك لأنها تنطوي باستمرار على مقاصد وطموحات إنسانية تميز الإنسان كانسان بصرف النظر عن الزمان والمكان[2]، وتعبر عن تمرد هذه الانسانية ضد وجود إنساني عام تحكم عليه وجود " تراث غير إنساني"، هذه الفكرة يعني أساسا بشكل ضمني وصريح القناعة أن حركة التاريخ تنطوي على معنى، على قصد أساسي وأن دراسة التحولات الاجتماعية السياسية والأيديولوجية تفرض التطلع إليها ليس في ذاتها كتحولات منفصلة، بل كأجزاء في طور أو أطوار تمر بها حركة التاريخ أو الإنسانية كلها نحو هذا القصد.

فالإنسان ليس واقعة ثابتة بل هو أساسا سيرورة دائمة بين حالة أمبريقية يكون فيها في لحظة تاريخية معينة إلى حالة مثالية ينتقل أو يتطلع إليها، أنه ليس الأولى أو الثانية، بل هو هذه السيرورة بين الحالتين أنه كائن لا يستطيع الاكتفاء بأية حالة يكون فيها، وهو عندما يترجم حالة مثالية إلى الواقع يخسر، عاجلا أم آجلا، التزامه النفسي أو امتثاله الوجداني، وأنه كائن يفضي حياته اليومية في مجالات عملية ضعيفة

ومحدودة بمقاصد مباشرة ومشاغل أنية، ولكن يتطلع دائما إلى حقائق خالدة مطلقة وأعمال غير قانونية يتجاوز بها تلك المجالات والمقاصد والمشاغل الآنية[3]، أنه العنصر البشري أهم مورد من موارد التنمية المستدامة وأهم ركائزها اذا ما أحسنا استثماره وإدارته يصبح أكثر قدرة على تحقيق أهداف التنمية أنه المحرك الرئيسي للعملية فهو الذي يفكر ويصنع القرار ويخطط ويصدر الأوامر فهو العنصر المبتكر الذي يحتاج أن ينمو ويعيش في محيط صحي يحقق له الاشباع في تلبية حاجاته النفسية والاجتماعية والاقتصادية بشكل يحقق التوازن بين حاجاته وواجباته نحو التنمية المستدامة التي يلعب فيها دور القائد الذي لا نستطيع الاستغناء عنه ولهذا سنحاول في هذه الورقة البحثية التعرض لعملية التنمية من خلال العنصر البشري والأطر النظرية التي تضعه في قالبه السليم حتى يصبح أكثر عطاءً وخدمة للتنمية المستدامة ولتقدم المجتمعات مستقبلا.

1- الاطار المفاهيمي للدراسة

التعريف الاجرائي لتنمية: تعني توفير الاليات والوسائل لكل فرد للحصول على فرص متساوية ومتكافئة، وهي تركز على البعد الانساني أي على العنصر البشري، وهذا ما نود أن نبينه في دراستنا أي بمعنى أخر تجعل الفرد مشاركا مستفيدا من عمليات التنمية كما أنها تعتبره ركيزة أو أهم موارد التنمية، وتشمل التنمية أربعة عناصر أساسية هي:

- **الانتاجية،** وتعني توفير الظروف المناسبة للأفراد حتى يتمكنوا من رفع انتاجيتهم،
- **العدالة الاجتماعية،** وتعني تساوي الافراد في الحصول على نفس الفرص،
- **الاستدامة،** وتعني ضمان حصول الافراد على تنمية مستدامة أو مستمرة،
- **التمكين،** ويعني توفير الوسائل الثقافية والتعليمية والمادية حتى يتمكن الافراد من المشاركة في اتخاذ القرار والتحكم في الموارد التي تعنيهم.

وتعرف كذلك بأنها "عملية مجتمعية واعية ودائمة موجهة وفق إرادة مستقلة وطنية من أجل أيجاد تحولات هيكلية واحداث تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية تسمح بتحسين مستمر لنوعية حياة المجتمع".

تعريف العنصر البشري: نود في هذه الورقة تعريف العنصر البشري من خلال العلاقات الانسانية ويطلق هذا اللفظ على ذلك التداخل الذي يتم بين الافراد وهم في شكل مجموعات، لذا فإن النظرة لموضوع مناقشة العلاقات الانسانية في محيط العمل كونها ذلك الميدان في الادارة الذي يهدف إلى التكامل بين الافراد في محيك العمل بالشكل الذي يدفعهم ويحفزهم إلى الأداء بإنتاجية، مع الحصول على

إشباع لحاجاتهم الطبيعية والنفسية والاجتماعية. ومن هنا يمكننا أن نعرف العلاقات الانسانية بأنها الناتج العام للموقف الاجتماعي الذي يوجد فيه الفرد مع جماعات العمل لتحقيق هدف مشترك.

ذلك لأن الفرد لا يستطيع أن يعمل ويعيش بمعزل عن الاخرين بل يعيش في جماعات عمل، وبالتالي فان السلوك الإنساني هو سلوك اجتماعي كما أن الفرد هو عضو في جماعات عمل مختلفة داخل المنظمة، وبالتالي تنشأ بينه وبين هذه الجماعات علاقات من نوع خاص حسب طبيعة واتجاهات هذه الجماعات وأهدافها.

لذا فالدور الحقيقي لإدارة الافراد في فهمها للعلاقات الانسانية هو العمل الجاد لتهيئة مناخ تنظيمي يتيح خلق وتنمية العلاقات الانسانية في المنظمة.

مفهوم التغير الثقافي ومدى ارتباطه بالتغير الاجتماعي: تبقى الإجابة على السؤال المطروح عن علاقة التغير الثقافي بالتغير الاجتماعي تقتضي إلى النقاش حول مفهوم ومضمون الثقافة ودراسة التغير الثقافي تقتضي فحص كلا المظهرين حيث لا يمكن فصلهما وبالتالي البحث في تأثير أحدهما على الآخر ومن الخطأ أن نفرد عوامل خاصة بالتغير في الجانب المادي وعوامل أخرى خاصة بالجانب اللامادي، وبالتالي يكون التغير الثقافي هو ما يطرأ من تبدل في جانبي الثقافة سواء كان ماديا أو معنويا أي أنه تغير يحدث في جميع نواحي المجتمع (اللغة، الفن، الدين والعادات والتقاليد، التكنولوجيا...) وعلى هذا يصبح التغير الاجتماعي جزءا من التغير الثقافي بالإضافة إلى ذلك الإطار المادي.

لذلك فليست جميع التغيرات الثقافية هي تغيرات اجتماعية بينما العكس صحيح وما دام التغير الثقافي هو كل ما يتغير في المجتمع سواء كان هذا التغير محدودا أو واسعا أو شاملا المظاهر المادية والمعنوية دوما دام التغير الاجتماعي يتناول الجوانب المعنوية لجهة وظيفتها في البناء الاجتماعي وما يترتب عليها من علاقات وما ينتج عنها من قيم وعادات أي جوانب لا مادية ومادام الأمر كذلك فإن هناك علاقة بين التغيرين هي علاقة تضمن واحتواء[4]، فكلما هو تغيير إجتماعي يعد تغيير اتفاقينا وليست جميع التغيرات الثقافية تقع في دائرة التغير الاجتماعي على الرغم من أنها قد تتراكم وتصبح مع الوقت سببا أو علة للتغيير كما هو الأمر في دخول التكنولوجيا المتقدمة وغزوها للعديد من أوجه الحياة التقليدية.

يعتبر الإنسان أي العنصر البشري هو المسؤول الأول والرئيسي في عملية تغيير القيم الثقافية السلبية بالقيم الثقافية الإيجابية، لان القيم الثقافية عبارة عن الأفكار التي تنظم وتوجه وترشد سلوك الإنسان لكي يتخذ هذا الأخير قرارات ومواقف اتجاه القضايا في مختلف المجالات الحياة الاجتماعية هذه الأفكار عندما يعتاد ويتعارف عليها أفراد المجتمع فأنها تصبح تسمى بالقيم الثقافية ويجب أن نذكر بأن

هناك نوعين من القيم الثقافية النوع الأول: القيم الثقافية الميتة أو الهدامة فهي لا تحدث وعي ولا تحفز على النهضة ولا تبني حضارة وسميناها بالقيم الثقافية السلبية أما النوع الثاني: القيم الثقافية الحية والمنعشة وباعثة الإرادة والعزيمة والصبر والمحفزة والبناءة والمؤسسة للوعي واليقظة والنهضة وسميناها بالقيم الثقافية الإيجابية[5]، والسؤال الذي يمكن أن يطرح في هذ المجال هو كالآتي: كيف يمكن لنا اليوم التمييز بين السمات الثقافية الهدامة السلبية وبين السمات الثقافية البناءة الإيجابية بحكم التغيرات الســـــارية وفق متطلبات الحياة الاجتماعية العصرية أو بالأحرى المعقدة والمركبة فإذا كان لكل منا رصيد فكري ثقافي يملكه ويتصدى به لكل المشاكل الحياة الاجتماعية الحديثة والمعاصرة بما أنه يكتسب قوة رصيده الفكري والعلمي والاجتماعي والثقافي من داخل مجتمعه هو بعينه، وبما أننا سلمنا مسبقا بأن الإنسان (الفرد الاجتماعي) هو محور الحياة الاجتماعية والمجتمع بحد ذاته، وأنه يدخل في علاقات متشابكة متنوعة تفرض عليه بالقسر والإكراه وأحيانا بالرضى والرغبة حسب متطلبات حياته، وبأن التعامل مع البيئة التي يعيش فيها الإنسان بأنواعها المختلفة الاجتماعية والثقافية والطبيعية يقوم على قاعدة التفاعل المستمر، ويلاحظ أن بعض هذه العلاقات تفرضها عليه ثقافته في المقابل يفرض الإنسان ثقافته على بعض عناصر هذه البيئة ومن خلال هذا التفاعل يحدث التغير.

هناك العديد من العوامل المساعدة أو المسببة في التغير الثقافي والاجتماعي بعضها خارجة عن دائرة الفعل الإنساني، مثل العوامل الطبيعية والبيولوجية وعوامل أخرى ناتجة عن النشاط الإنساني مثل المعطيات التكنولوجية والثقافية وغيرها. لعل من أهم العوامل المؤثرة في التغير هي العوامل الأيديولوجية والثقافية، فالأيديولوجية قوة كافية تعمل على تطوير النماذج الاجتماعية الواقعية وفقا لسياسة متكاملة تتخذ أساليب ووسائل هادفـــــــــــة وتساندها بتبريرات اجتماعية أو نظريات فلسفية أو أحكام عقائدية أو أفكار تقليدية لذلك هي ترتبط بالمنظومة الاجتماعية وبحركاتها العامة، فهي ليست مجموعة من الأفكار والمعتقدات والاتجاهات تتبناها جماعة معينة وإنما هي حركة فكرية هادفة ومحركة لها فاعلية إيجابية في الوسط الاجتماعي والثقافي وتنعكس روحها في القيم والسلوكيات، وينعكس أي تغيير يطرأ على أيديولوجية المجتمع على الظواهر والمؤسسات الاجتماعية.

2- الاطار النظري للدراسة

العنصر البشري بين الفعل الاجتماعي والتفاعلية الرمزية: أهم الموضوعات على الاطلاق لفهم بيئة العنصر البشري هي الموضوعات الاجتماعية وفي المحل الأول منها الفاعلين الاجتماعيين أي العناصر البشرية هم بأنفسهم، وبناء على ذلك يشتمل تحليل ذاتية الفاعل على وجهين فبجانب ذاتية الأنا توجد ذاتية الآخر الذي قد يكون فردا أو جماعة، وقد حاول بارسونز في كل أعماله توضيح تعقد

العلاقات الاجتماعية، ويعتبر التفاعل بين فاعلين أو أكثر وما ينطوي على هذا التفاعل من ذاتية أحد المحاور الأساسية في نظريته.لاسيما أن التفاعل بين الفاعلين يؤدي بالضرورة إلى التغير الاجتماعي، إذا فإن الأفراد أو العناصر البشرية هم الفاعلين المسببين في التغير داخل الفعل الاجتماعي الذي يحمل معه معاني أيدولوجية، قيمة، ذات أهداف ومصالح، تخدم مستقبل المجتمع[6]. الذي ينتمي إليه هؤلاء الفاعلين الاجتماعيين، وبالتالي نستطيع أن نضع المسلمات السسيولوجية التالية المرتبطة بعمل أو فكرة الفعل الاجتماعي:

أ. يستمد الفعل الاجتماعي بصفة عامة دلالته ونجاعته من البنية والنسق الاجتماعي الذي يتم فيه، فهو الذي يزوده بالقيم والمعايير التي توجهه وتشكل آلية ضبطه ومراقبته.

ب. يكون الفعل الاجتماعي الجمعي الهادف الفعل الحاسم والأداة الأساسية للتغيير الاجتماعي الحدث في أشكاله التطورية والتقدمية وغيرها.

ج. فكل هذه الأشكال من التعبير ما هي في الحقيقة إلا أبعاد من الحداثة والتي تتميز بقيم قاعدية محدد لها، مثل العقلانية والحرية الفردية والجماعية التي هي أهمها.

فالفعل يستطيع من خلال الاشارات والرموز أن يتعرف على بيئته وأن يقيمها ويتحكم فيها، وتعتبر الرمزية من الأشياء الجوهرية في التفاعل الاجتماعي لأنها تحقق الاتصال بكل صورة، فعن طريق الاتصال يستطيع الفاعلون أن يرتبطوا بعضهم بالبعض الآخر، وبناءً على ذلك فإن الفعل والتفاعل يظهران داخل عالم رمزي واسع، يأخذ داخله كل فعل معنى معينا بالنسبة للفاعل والآخرين، هناك وظيفة أخرى للرمزية في الفعل الاجتماعي مؤداها أنها تساهم في خلق قواعد السلوك، والمعايير والقيم التي تقود الفاعل، في جوهر الفكر في التفاعلية الرمزية يبين إلى أي مدى أن التصورات الخاصة بكل فرد متباينة ومختلفة فيما بيننا وأحيانا متعارضة. إن السسيولوجي جورج هربرت (1863- 1981) قد أوضح أن شخصية الفرد تبدأ بعد ولادته فقط وذلك عندما يدخل الفرد في علاقات مع غيره من الافراد.

وقد بين أن صورة الفرد لذاته خلال موقفه مع الآخرين تنحصر بالشرط على قدرته على تخيل رد فعل الآخرين أي أنه – ميد- أوضح أن التفاعلية الاجتماعية (Interaction Sociale) هي عملية تبادل تحددها المركبات الثلاث التالية:

الفعل الذي يقوم به الفرد أو بالا حرى الإيماءة التي يبادر بها (le geste) **رد الفعل** المنتظر من الأخر (الشخص الثاني) وأخيرا **اكتمال الفعل** الذي بدأه الشخص الأول في البداية، وبهذا تكون التفاعلية الرمزية قد عرضت التبادل أو تبادل ردود الأفعال بين الأفراد في مركز دراستها للسلوك الاجتماعي للفرد. وهذا على أساس أن هذا **التفاعل** والتبادل يعنى الربح والخسارة أو يحمل معنى الربح أو الخسارة، ولهذا لا تخلو

اليوم أي دراسة تهدف إلى سلوك الأفراد، تعاملاتهم، طبيعتهم، رغباتهم، أهدافهم، عاداتهم، الموارد التي يستمدون منها القوة أو حتى الضعف، أخطائهم وكل ما يعرضهم للخطأ والخطر والتهديد بتوازنهم داخل شبكة علاقاتهم، مبادئهم، وكيف لهم أن يكملوا مشاريعهم وأحلامهم وأدوارهم ووظائفهم الاجتماعية والإنسانية وكل ما يخص سيرورة فعلهم بالإعتماد على نظرية التفاعلية الرمزية. وبما أن الفرد يتغير بتغير أهدافه بحسب الأهداف التي يرجو تحقيقها فأنه بقيام الفعل والانتماء منه يعود إلى طبيعته[7]، وبهذا ترجع حقيقة علاقة الفرد بمجتمعه إلى أهمية الألفة بعناصر الافعال التي يقوم بها وتميزه عن غيره والتركيز على **التفاعلات المركبة** التي تقوم بينه وبين جماعته وأفرادها[8].

نود أن نذكر بعض المفكرين الاجتماعيين الذين اهتموا بالطريقة التي يطور بها الفرد نفسه ويغير من شخصيته حسب العلاقات الاجتماعية التي يدخل فيها، أمثال شارل كولي (1902)، جورج هربرت ميد (1934)، ارفين قوفمان (1959–1967) رواد هذه النظرية، نظرية التفاعلية.

في العموم اهتمت دراساتهم بالإجابة عن أسئلة عديدة ترتبط بعملية التنشئة أنها تتم عن طريق أربع ميكانزمات هامة.

الميكانرم الأول – **المرآة العاكسة** (Miroir Réfléchissant): وتحدث فيه شارل كولي على أن الفرد يحمل فكرة عن نفسه، وذلك كل ما دخل في علاقة مع الأخر، وأن الفرد يحمل دائما انطباعا بما يراه الآخرون اتجاهه وأنه يحمل صورة لما يراه الأخر عنه. فهو أولا أي الفرد يحاول انتزاع الصورة التي يبدو عليها في أعين الآخرين، وثانيا يحاول أن يصل إلى كيف يفهمه الأخر، وثالثا وأخيرا يحاول أن يندمج مع هذه التصورات والأحكام التي يطلقها الأخر عليه، ومنها يصل إلى موقف الإيجاب أو السلب، النبذ أو السعادة... الخ[9]، من مواقف. وبالنسبة إلى كولي "الأنا" هو نتيجة لكل هذه الخيالية التي يتمركز حولها الفرد مواجهة بغيره وبأحكامه عليه، وقد يقع بالخطأ إذا حكم عليه بالخطأ وهنا قد تكون بداية لاضطرابات نفسية واجتماعية قد تتسبب بمرضه واختلال توازنه داخل الجماعة. كما تحدثت مارجريت ميد عن التنشئة الاجتماعية المتبادلة (mutuelle) وأن الأبناء الذين يتأثرون بالآباء يمكنهم أن يؤثروا فيهم أيضا (أباء– أبناء– أباء) بصورة عامة إن التفاعلية الرمزية لجورج ميد تعتمد على أن العالم والمجتمع يمكن التعرف عليه من خلال الأفراد كفاعلين اجتماعيين يخلق بينهم علاقات اجتماعية فاعلة تسمح لنا بدراسة أعمق للإنسان وفهمه[10].

الميكانزم الثاني – **التنشئة عن طريق الدور**، الذي يقوم به الفرد داخل الجماعة أي بوجود أفراد آخرين وضرورة تواجدهم، لهذا تابع **جورج هربرت ميد** ما قدمه كولي من أعمال ودراسات حول الموضوع ليقدم في النهاية تفسيرا أشمل عن تكوين الفرد لشخصيته (الشخصية الاجتماعية) عن طريق ما يقدمه الفرد من

دور اجتماعي داخل الجماعة التي ينتمي إليها على غرار ما يربطه بها من أدوار اجتماعية أخرى وقد حدد ميد عموما ثلاث نقاط أساسية لهذه العملية وهي مرحلة **التحفيز** فهي مرحلة تقليد وتقمص الأطفال للأدوار التي يقوم بها الآباء ثم مرحلة **الاستيلاء** على الأدوار وفي هذه المرحلة يستطيع الطفل استيعاب الرموز التي يستخدمها الآباء ومعانيها كما يتطرق أيضا للتعرف على بعض التفاصيل العامة للثقافة التي ينتمي إليها – التقاليد، الحفلات، الأعراس، الشخصيات المهمة في الجماعة ،اللغة .. الخ، ويؤكد ميد على أن الطفل يصل في هذه المرحلة إلى التقمص في شخصية الآخرين على غرار كل ما يتعلمه منهم كما يؤكد على أهمية دور اللعب في هذه المرحلة. ويعتبر ميد من الأوائل الذين قاموا بتحليل العلاقة الموجودة بين الرموز والتنشئة لأن الطفل في بدأياته يطور وينمي من تعاملاته مع الآخرين عن طريق الرموز ولهذا يأخذ فكرة أولية عن العلاقات الاجتماعية وفي هذه المرحلة بالذات يتعرف الطفل على أدواره ويحمل مسؤولياتها ومسؤولية الفاعلين الاخرين ومدى أهمية الدور الذي يقوم به، وعلى استيعاب الكم الهائل من الأدوار الي يقوم بها الآخرين، وأحيانا يقومون بنفس الفعل (المهنة)[11].

بالنسبة لميد تركيب الأنا (le soi) ينتج عن مجموعة التصورات والعواطف والتوقعات التي يصورها الفرد لنفسه، ولهذا تأتي فكرة أو مفهوم التنشئة لدى ميد على أنها عملية سائرة تتم وتلحق الفرد طوال حياته فكلما تقدم وتطور الناس، كلما زاد الفرد (le soi) تغيرا تبعا للأحكام الصادرة عليه من خلال الآخرين ولهذا يكون للأخر دورا فعالا في بناء شخصية الفرد وهم ما يسميهم ميد بالشخصيات ذات المعنى **(Personnes Signifiantes)** [12].

الميكانزم الثالث – **معالجة ما نحمله من انطباعات حول الدور أو مسرح الحياة**، كما قلنا سابقا، ميد من رواد التحليل الميكروسسولوجي أي تحليل التفاعلات القائمة بين الأفراد فهذا التصور السسيولوجي مرتبط ارتباط مباشر بسسيولوجيا تطوير الذات عن تطوير مشاركتها أي الذات في الحياة الاجتماعية بتشربها للقيم والمعايير الأولية التي يقوم عليها المجتمع ومدى تواصلها معه ومدى قبولها اجتماعيا.

بالنسبة لميد التواصل عن طريق اللغة، الرموز، الألفاظ، الأشكال تعتبر وسائل وصل هامة جدا وضرورية لإدماجه مباشرة وبصورة صحية داخل المجتمع.

الميكانزم الرابع – **التنشئة عن طريق التعلم(التوقع)**، أي كيفية الاعتماد على العملية كاملة ولكن بجانب تجريبي أمبيريقي في الرد على رغباتنا، في الدور الذي نود أن نقوم به في المستقبل استجابة لما يتصور الآخرين عنا وخاصة الأهل، ومن الحديث عن التفاعلية نرجع مرة أخرى الى الفعل الاجتماعي لما يحمله من معايير وقيم ذات طبيعة رمزية بالضرورة ومواصفاتها:

1. تجعل سلوك الفاعلين قابل من أن يفهم من جانب الآخرين فالفعل البشري يصبح بفضل المعايير والقيم التي تتصل به، أقل غموضا بالنسبة للآخرين وبالنسبة للفاعل نفسه، لأنهم يستطيعون جميعا أن يفهموا معناه وتوجهه واستمراريته.
2. يصبح الفاعل من خلال المعايير والقيم نادرا على أن يفسر الموقف وأن يحدد المعالم والحدود والقوى التي يجب أن يأخذ بها في سلوكه.
3. تزود المعايير والقيم الفاعل بالأهداف والوسائل التي توجهه كما أنها تعطي لأفعاله معنى معينا بالنسبة لنفسه وللآخرين.

يمكن أن يطرأ على هذه التفاعلات بين الفاعلين، تصادم وصراع، وإلى أين يمكن أن يؤدي هذا التصادم إذا لم نأخذ بعين الاعتبار البعد الاجتماعي النفسي، وفي أن عملية التفاعل ليست عملية ميكانيكية وليست إختيارية، بل هي عملية إنسانية تحمل العديد من المفاجآت بالرغم من أن بارسونز أراد أن يضعها في قالب نظامي عام، وأن الفعل البشري بالنسبة له سواء كان سلوكا فرديا أو اجتماعيا فأنه ليس سلوكا عشوائيا، وهو لا يتصف بالفوضى ولا يمكن التنبؤ به، فالحياة الاجتماعية حربا يدخل فيها الكل ضد الكل. فهناك قدر من النظام العام واضح في سلوك الفرد أو الجماعة، ومن ثم فإن الفرد قادر على أن ينبأ بسلوكه وسلوك الآخرين من حوله، ولكن السؤال الذي يجب أن يطرح في هذا النطاق والذي يتعلق بجوهر موضوع الدراسة هو: ما هي أسس النظام العام في الفعل الاجتماعي؟ هل يمكن لنا أن ننكر وجود صراعات واضطرابات وحتى لو كنا نسلم بفكرة وجود قدر من النظام العام فوق أي مظاهر لسوء التنظيم الاجتماعي في الفعل الفردي أو الفعل الجماعي.

قد يتبين لنا الحاجة الملحة إلى تناول مفهوم العنصر البشري بين الفعل باعتباره نبض الحياة الاجتماعية الذي يؤدي إلى التغير الاجتماعي ومدى استجابته لمتطلبات الحياة الاجتماعية العصرية المتعددة والتي تخرج في أحيان كثيرة على الإطار الثقافي العام للمجتمع أو الجماعة التي ننتمي إليها، وإلى أي مدى يستطيع الفعل الاجتماعي إعادة صياغة شخصية العنصر البشري في ظل هذه التغيرات وأسبابها من عوامل بيئية وطبيعية، أهمية دور الاتصال، العوامل الأيديولوجية والثقافية المتحددة وكذلك العوامل الاقتصادية، والبعد النفسي الاجتماعي للعنصر البشري داخل كل هذه العمليات يعتبر من الأبعاد الرئيسية التي تتعرض لهذه العمليات، باعتبار أن هذه التغيرات، تغيرات إنسانية وليست ميكانيكية جامدة.

اذن نحن بصدد الحديث عن كيفية بنية الجماعات وإقامة العلاقات الاجتماعية من خلال التفاعلات القائمة، فنحن إذن بصدد البحث عن العمليات النفسية الاجتماعية التي تتبلور داخل كل علاقة اجتماعية، بعدد من الأبعاد من تبادل اجتماعي، تضامن، تحقيق الهوية،... وهنا يطرح التساؤل حول : ماذا يمكن

أن يحدث بين "الأنا" أو "الذات" وبين "الآخر" وكيف لهذا الآخر أن يؤثر عليَ وكيف أن تؤثر فيه، هذا التفاعل يتطلب مجموعة من الاستراتيجيات تتعامل فيما بينها، بفرض نوع من القيود (هياكل المراقبة) وباقتراح بعض الشرعيات (هياكل شعورية)، وللوصول إلى أهدافنا ندخل في علاقات تضامن ومساندة ومودة، مع من يشبهنا وندخل في علاقات تبادل مع من يختلف عنا. ونعتمد في كل هذه العملية العلائقية التبادلية على موارد ثقافية نفسية واجتماعية نعتبرها بمثابة المحركات الأساسية، المادية والروحية بزمن معين في مكانها.

إن تطبيق هذه الموارد في علاقاتنا واعتمادنا عليها في حياتنا يسمح لنا بإنتاج أقوى للشعور بها ويجعلنا نتفاعل فيما بيننا بطريقة لا تسمح بالخروج عن القوانين الاجتماعية للمجتمع الذي ننتمي إليه فهي (الموارد الثقافية النفسية) تقف بيننا وبين أي أخطاء قد نرتكبها خلال خلق العلاقات نسبيا وتمثل لنا نوع من المراقبة الاجتماعية تحملها ضمائرنا الاجتماعية "ولهذا فنحن نسميها (بالعمليات الوسيطة) تتموقع بين الهياكل واستراتيجيات العلاقات الاجتماعية [وتشكل العلبة السوداء][13]، ويمكن تحديد عملية تسيير الذات لعلاقاتها داخل الجماعات في النقاط التالية:

- تحديد هويتها،
- الاختلاف والتميز،
- الانتساب إلى مجموعة خاصة،
- الإيجابية والتقيد والتناقض، وكلما كانت وضعية الفرد داخل الجماعة تشير إلى عدم التساوي مع الآخر فيما يخص هذه الأشكال الأساسية للحياة، كلما انخفضت لديه القدرة على إجبار الآخرين، وهذا ما يجعله يدخل في صراعات وتناقضات مع الآخر.
- الصراع، وهو السلوك الذي يحمل أفراد أو مجموعات على التنافس فيما بينهم لبلوغ هدف يسعى اليه الجميع ويمكن للصراع ان يندلع في الانسان نفسه وذلك حين يشتهي الإنسان شيئا لكنه يقاوم تلك الشهوة، وينشأ نتيجة ذلك صراع نفسي داخلي.

ومع ذلك يبقى الصراع بين الافراد والجماعات أكثر بروزا وتأثيرا في التعامل الاجتماعي وبعض النظر عن شكل التنظيم الاجتماعي الذي يعيشون فيه ان نمط الصراع وحدته يعكسان نوع البنية الاجتماعية التي ينشب الصراع ضمنها. إن هذا الصراع أو التوتر أو القلق الثقافي والاجتماعي لا يولد بمحض الصدفة وانما تطورات فكرة المجتمع الجديد هي التي وضعت الإنسان موضع تساؤل أو تساؤلات عديدة ؟ ولا بد من الدراسة والبحث للإجابة عنها، فنحن بصدد هذه الدراسة نحاول أن نبين قيمة العنصر البشري

في عملية التنمية المستدامة بغض النظر عن كل الاطروحات النظرية التي قدمها زعماء علم الاجتماع والانتربولوجيا، فان فكرة المجتمع الجديد لا يمكن أن نفسر إرجاعها إلى موضع اجتماعي تاريخي فحسب، وذلك لأنها تنطوي باستمرار على مقاصد وطموحات إنسانية تميز الإنسان كانسان بصرف النظر عن الزمان والمكان[14] وتعبر عن تمرد هذه الإنسانية ضد وجود إنساني عام تحكم عليه وجود تراث "غير إنساني"، هذه الفكرة تعني أساسا بشكل ضمني وصريح القناعة أن حركة التاريخ تنطوي على معنى، على قصد أساسي وأن دراسة التحولات الاجتماعية السياسية والأيدولوجية تفرض التطلع إليها ليس في ذاتها كتحولات منفصلة، بل كأجزاء في طور أو أطوار تمر بها حركة التاريخ أو الإنسانية. ولكن ماذا لو تحول هذا الصراع إلى توتر حاد ثم إلى إخلال التوازن بين البنى والنظم الاجتماعية، وبالتالي على الأفراد الفاعلين حالة من الفزع والخوف والقلق الاجتماعي والثقافي قد تسفر في أحيان كثيرة إلى عدم تحقيق أهداف التنمية بل وربما الى اعاقة سير واستمرار عملية التنمية المستدامة ؟

على ضوء ما سبق من تأطير نظري يخدم موضوع دراستنا نستطيع أن نقول الإنسان ليس واقعة ثابتة بل هو أساسا سيرورة دائمة بين حالة تجريبية ديناميكية وبين نظم وبنى اجتماعية المفروض أن يعيش مجبرا في أحيان كثيرة على تطبيقها كما هي من غير المساس بأصالتها أو الخروج عن قوانينها حتى يستطيع في النهاية تحقيق أهداف التنمية المستدامة على جميع مستوياتها.

خاتمة:

في الختام، لا يمكن القول أن عوامل التغير الاجتماعي والثقافي يمكن تحليلها بعامل واحد، ففي الواقع يتم تساند عدة عوامل لإحداث التغير، وقد تختلف قوة أحد العوامل تبعا لاختلاف المرحلة والظروف، فليست كلها على الدرجة نفسها من الأهمية لذلك هي تتميز بالنسبية تبعا لاختلاف الزمان والمكان والظروف المحيطة، ونستنتج أهمية العنصر البشري في تحقيق التنمية وفي تقدم المجتمعات.

من خلال عرضنا، حاولنا الكشف عن أهمية العلاقة بين التنمية المستدامة والعنصر البشري، من خلال الربط بين الفعل الاجتماعي، التغير الاجتماعي والثقافي في ضوء البعد النفسي والاجتماعي في تفكيك العلاقة وصولا إلى استنتاج أهم موارد التنمية المستدامة وهو العنصر البشري، فإذا كان علم النفس كعلم قائم بذاته قادرا على حل واستيعاب وتقدير المشاكل النفسية للإفراد داخل جماعاتهم أن كانوا في عزلة، فإن علم الاجتماع وعلم الاجتماع الثقافي– بشكل خاص– قادر كعلم قائم بذاته أن يكشف عن أهمية العنصر البشري بإعتباره أهم موارد التنمية التي لطالما تعتمد عليه في تحقيق أهدافها واستمراريتها وتطلعاتها المستقبلية .

خاصة وأن الإنسانية تستعد لقفزة هائلة للأمام وتواجه أكبر تغيرات اجتماعية تتعرض لها منذ بدء الخليقة والتي ستعيد تركيب المجتمع بشكل جديد لم نعهده من قبل، وبدون معرفة واضحة بهذه التغيرات ننهمك في بناء حضارة جديدة كل الجدة علينا، وهذا ما يعرضنا الى مواجهة أخطر الظواهر الاجتماعية والنفسية التي تضع العنصر البشري موضع الخوف والقلق وأحيانا فقدان توازنه وتأخره عن القيام بواجبه اتجاه التنمية والتقدم باعتبارها ظاهرة انسانية بشرية بحتة.

الهوامش والمراجع:

1. سامية محمد جابر، **الفكر الاجتماعي**، دار العلوم العربية، بيروت، 1983، ط1، ص93
2. نديم البيطار، **فكرة المجتمع الجديد في المذاهب السياسية والأيدولوجية الحديثة**، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام بيروت، 2000، ص 339.
3. نفس المرجع، ص 340.
4. يوسف خضور، **التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق**، منشورات جامعة دمشق، 1994، ص .
5. رشيد زوراتي، **إشكالية الثقافة في التنمية بالبلدان النامية**، عياش للطباعة والنشر، الجزائر، 2011، ص 210.
6. Guy Rocher, **Introduction à La Sociologie Générale: Le Changement Social**, Editions HMH, Litée, 1965, P26.
7. Feau Philippe Bouiloud, **Sociologie et Société**, Presses de France 1997, p 46.
8. Ibid, p 47.
9. Arraud Mahelast, **l'invention de la communication**, éditions la découverte, Paris, 1994, p 290.
10. Individu et société, p 112
11. Individu et société, p 115
12. Individu et société, le développement social de l'individu, chapitre 4, p 117.
13. Guy Bajoit**, pour une sociologie relationnelle**, presses Universitaires de France, PUF, Paris, 1992, P 222.
14. نديم البيطار، مرجع سابق، ص 339.